

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وعد فوفى، وأوعد فعفا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، رزق وكفى، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، سيد الشرفاء، والنبي المصطفى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أهل الوفاء، ومن سار على دربهم واقتفى، وبعد:

فهذه رسالة في موضوع في غاية الأهمية، ألا وهو صلة الرحم الذي اتفقت عليها الشرائع السماوية، والكتب المنزل، وهي من محاسن الدين الإسلامي العظيم، وهي مكسبة للحمد، مجلبة للثناء، كما أنها سبب للعزة والقوة والمنعة.

وقد تعددت الأدلة في الأمر بها، وبيان فضلها، وفي التحذير من القطيعة، وبيان عواقبها الوخيمة، فأردت أن أضع رسالة — أذكر بها نفسي وإخواني — بهذه الفريضة المنسية، ووجوب العناية بها. كما أنني أؤكد في نفس الوقت على أن الشرع المبجل الذي أمرنا بصلة الرحم، نهانا عن العصبية القبلية، واعتبرها من دعاوى الجاهلية النتنة.

والفرق واضح لا يحتاج إلى بيان، فالأرحام لهم حق منضبط بضوابط الشرع، فلا تقديم إلا لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعندما يحمل الإنسان حبه لقبيلته على الطعن في الأنساب والفخر بالأحساب، فإنه سلك طريقاً مجانباً لهدي الإسلام.

وأذكر بأن هذا العمل القصد منه التذكير لا الحصر، فقد حرصت على جمع بعض النصوص المذكورة، وقد أفدت من بعض المراجع والمصادر والموسوعات، ومن الكتب التي أفدت منها كتاب قطيعة الرحم للشيخ الفاضل محمد الحمد فجزاه الله خيراً، وإني أشكر في هذا المقام بعد شكر الله جل جلاله كل من ساهم في دعم هذا العمل.

وفي الختام أسأل الله أن ينفعني وإخواني المسلمين بهذا العمل في الدنيا والآخرة، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

د. عبيد بن سالم العمري

جامعة طيبة

١٤٢٨ / ٨ / ٢٤ هـ

بين يدي الكتاب

عندما نظرق مثل هذا الموضوع فإن البعض قد يهول الأمر ويظن أن هذه التزايدات لا يمكن القضاء عليها ونحن نؤكد بأن الأمة ما زالت بخير والناس بحاجة إلى التذكير والله تعالى يقول (وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) سورة الذاريات

وهذه قصة مؤثرة يحكيها شاهد عيان فيها موعظة قال أحد المشايخ الفضلاء : ألقى كلمة في أحد المساجد و ما أن انتهيت منها إلا و رأيت منظرًا عجباً ، رأيت رجلين يتعانقان ، فسألتهما عن حالهما فقال أحدهما : و الله يا شيخ لنا أربعون سنة و نحن في قطيعة وهجران و نحن ذوو قرابة ، فلما ذكرتنا بالله تحرك الإيمان في قلوبنا ، كما ترى يا شيخ اصطلحنا و نعاهد الله على عدم القطيعة .

يا لله أربعون سنة وهم في قطيعة ، ما ذنب أولادهم و بناتهم و زوجاتهم الذين حرموهم من صلة أرحامهم ، بل أين هم من قوله تعالى ((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم و أعمى أبصارهم))

بل أين هم من قوله صلى الله عليه و سلم في الحديث المتفق عليه ((لا يدخل الجنة قاطع)) قال سفيان يعني قاطع رحم

ولكن لم تنتهي القصة بعد أيها القارئ الكريم :

يقول الشيخ اتصل عليّ أحدهما بعد ثلاثة أيام و قال لي يا شيخ إن فلانا الذي تصالحت معه قبل ثلاثة أيام مات في هذه الساعة

يا لله ما أرحم الله عز وجل بهذا العبد حيث مات ولم يمت وهو قاطع للرحم .

وكتب إلي أحد طلبة العلم يقول : ألقى كلمة في أحد المساجد عن العفو و الصفح و بعد الكلمة أخذ بيدي أحد المصلين وقال والعبرة تخنق صوته : بيني و بين أخي قطيعة أكثر من عشر سنوات وذلك بسبب لعاعة من الدنيا وحاولت بقدر ما أستطيع أن ترجع العلاقة و المحبة و الألفة بيني و بينه و لكن لا جدوى ، حتى أبي الذي كبر سنه يكون في منزله ستة أشهر وفي منزلي ستة أشهر فأرجو أن تذهب معي أنت ومعك بعض أهل العلم لإقناع أخي فقلبي يتقطع ألماً من القطيعة .

لا حول و لا قوة إلا بالله إلى هذا الحد وصلت القطيعة ببعض الناس فأخي يا من تقرأ هذه السطور : إلى متى القطيعة ؟

أترك الجواب ليوم تشيب فيه الوالدان ؟

أترك الجواب ليوم تدنو الشمس فيه من الخلائق قدر ميل ؟

أترك الجواب ليوم تأتي الرحم أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها و بقطيعة إن كان قطعها ؟

أترك الجواب عندما تقف أمام الجبار سبحانه وتعالى ؟

فهيأ بنا أخي نرجع المياه إلى مجاريها و نبذل الحال من قطيعة إلى صلة و من بغض و كره إلى محبة و ألفة . نفعني

حقيقة الرحم

كثيراً ما يتساءل الناس عن الرحم ما هي؟ ومن يدخل فيها ؟

وهذه المسألة بحاجة إلى بيان :

فالرحم ، قيل : كلُّ رحم محرّم بحيث لو كان احدهما أنثى والآخر ذكراً حرّمت مناكحتهما .

وقيل : عام في كلِّ الأقارب من جهة النسب وهو الصحيح . (١)

لقوله صلى الله عليه وسلم : (أبر البر أن يصل الرجل أهل ودا أبيه) (٢)

ويطلق بعض العامة لفظ الأرحام ويريدون به أهل الزوجة ، وهذا ليس بصحيح ، فإن أهل الزوجة يسمّون في

الشرع أصهاراً وليسوا أرحاماً إلا إذا كانوا من الأقارب ، فليعلم ذلك .

وعلى التعريف الصحيح للأرحام نستطيع القول بأن الأرحام لهم ثلاث جهات هي :

١ - الأصول ويدخل فيهم الأب والأم وإن علوا

٢ - الفروع ويدخل فيهم الابن والبنت وإن نزلوا

٣ - الحواشي ويدخل فيهم الإخوة والأعمام والأخوال وأولادهم

وكلمًا كان الإنسان أقرب كلمًا كان حقه أعظم ففي الحديث (من أحق الناس بحسن صحبتي فقال أملك ثم أملك

ثم أملك ثم أبوك ثم أدناك أدناك) (٣)

(١) اختاره النووي كما في شرح مسلم ١٦ / ١١٣

(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٥٥٢

(٣) أخرجه البخاري ١٠ / ٣٣٦ ومسلم ٢٥٤٨

بين الواصل والقاطع

لقد أمر الشرع بصلة الرحم ، وحذّر من قطيعتها ، فكيف تكون الصلة ؟
اعلم رحمك الله أن حقيقة صلة الرحم هي العطف والرحمة والإحسان إلى الأقارب بحسب حال الواصل والموصول ، فتارة تكون بالمال ، وتارة بالخدمة ، وتارة بالزيارة ، والسلام ، ويحصل بالعطف عليهم ، والرفق بهم ، والرعاية لأحوالهم ، وحضور أفراحهم وأتراحهم ، والاتصال عليهم ومراسلتهم •
وهي درجات بعضها أرفع من بعض ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة •
وقطيعة الرحم ضد ذلك كله وتكون بالإساءة إلى الرحم وترك الإحسان وقد بين ذلك العلماء وإليك جملة من أقوالهم :-

قال النووي رحمه الله : صلة الرحم ، هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول ، فتارة تكون بالمال ، وتارة تكون بالخدمة ، وتارة بالزيارة والسلام ، وغير ذلك • (١)
وقال القاضي عياض رحمه الله : لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة ، وقطيعتها معصية كبيرة ، والأحاديث تشهد لهذا ،

ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض ، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام والسلام ، وتختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة ، فمنها واجب ، ومنها مستحب ، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً ، ولو قصر عما يقدر عليه ، وينبغي له لا يسمى واصلاً • (٢)
وقال الزين العراقي : تكون قطيعة الرحم بالإساءة إلى الرحم ، وقال الحافظ ابن حجر : القاطع الذي لا يُتفضل عليه ، ولا يتفضل • (٣)
وقال ابن حجر الهيتمي : الصلة إيصال نوع من الإحسان • (٤)

(١) شرح مسلم الترمذي ١١٢/ ١٦٥

(٢) المرجع السابق

(٣) سبل السلام ٤ / ٣١٤

(٤) الزواجر ٢ / ٦٥

مظاهر صلة الرحم

ملخص ما سبق من مظاهر صلة الرحم في نقاط :

- ١ - الإحسان إليهم بإيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة .
- ٢ - تكرار الزيارة الأسبوعية والشهرية والسنوية حسب الإمكان وتفقد أحوالهم .
- ٣ - دفع الصدقة إليهم وإخراج الزكاة فيهم إن كانوا من أهلها .
- ٤ - قصدهم بالهدية والعطية والوصية لغير الورثة .
- ٥ - قضاء ديونهم والنفقة عليهم والعطف عليهم والرفق بهم لمن كان مستطيعاً .
- ٦ - مشاركتهم أفراحهم وأحزانهم وحضور مناسباتهم واستضافتهم .
- ٧ - الدعوة إلى الله وإقامة المحاضرات وتوزيع الأشرطة والكتيبات وعمل المسابقات داخل نطاق القبيلة .
- ٨ - الابتسامة وطلاقة الوجه وحسن الاستقبال والحفاوة بهم .
- ٩ - الحرص على جمع الكلمة ورأب الصدع ، ولم الشمل ، والحذر من التآليب والتحزيب ، والطعن والغيبة والنميمة والعتاب الشديد .
- ١٠ - خدمتهم بالجاء ، وقضاء حوائجهم ، والسعي في ذلك من غير إضرار بغيرهم ، والشفاعة لهم .
- ١١ - إفشاء السلام والتحية وترك المهاجرة ، ولو بالكلام .
- ١٢ - الاتصال بهم وإرسال الرسائل لهم عن طريق الوسائل المتاحة و السؤال عنهم .
- ١٢ - العدل والإنصاف مع القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة .
- ١٣ - التغافل عن زلاتهم وقبول أعذارهم والصبر على أذيتهم ونسيان معاييبهم .
- ١٤ - الدعاء لهم بخير الدنيا والآخرة وخاصة في أوقات الإجابة .
- ١٥ - الحذر من الحسد وخاصة للمميزين من طلبه العلم وإظهار الفرح لما نالهم من الخير ومشاركتهم في ذلك .
- ١٦ - المزاح المعتدل الذي يجلب الود ويحفظ الحب .
- ١٧ - إنزالهم منازلهم فيتصدق على فقيرهم ويتلطف مع غنيهم، ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم ويحلّ عالمهم .
- ١٨ - محاولة التعرف على مشكلاتهم ووضع حلول لها مثل العقوق ، العنوسة . البطالة . ضعف الوازع الديني، الجهل ، الفقر ، المرض .
- ١٩ - عيادة مرضاهم ، وتشجيع جنائزهم ، وتعزيتهم وإجابة دعوتهم ، و مكافأة معروفهم .
- ٢٠ - الاتصاف بالحلم والكرم والتواضع لهم ولو كان الإنسان أعلى منهم قدراً أو علماً ولين الجانب لهم .
- ٢١ - ترك المنة عليهم والبعد من مطالبتهم بالمثل والحرص على الصلة ولو مع قطعة الطرف الآخر .
- ٢٢ - المداراة و الحذر من الخصام والجدال العقيم .
- ٢٣ - الاعتزاز بالانتساب إليهم ، وأن يعلم أن عزهم عزّ له ، وذلهم ذلّ له .
- ٢٤ - الحرص على معرفة أنسابهم وتاريخهم ورجالهم وأشعارهم وقصصهم ووضع شجرة للعائلة تبين القريب والبعيد مع الحذر من الوقوع في العvisية القبلية والفخر بالأحساب والطعن في الأنساب .

٢٥ - الحرص على إصلاح ذات البين وحل المشكلات العالقة •

ولاشك أن هذا على سبيل التمثيل لا الحصر و بضدها تتبين الأشياء فبعكس ما ذكر تحصل قطيعة الأرحام كل بحسبه والله اعلم •

حكم صلة الرحم وحكمته

صلة الرحم لا خلاف في وجوبها في الجملة كما قال القاضي عياض رحمه الله لأدلة كثيرة منها قوله تعالى ((واتقوا لله الذي تساءلون به والأرحام)) سورة النساء ١ وفي الحديث ((من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليصل رحمه)) (١)

والحكمة في ذلك : تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية من أفراد الأسرة الواحدة حتى تعم المحبة والصفاء المجتمع كله ، وانتشار المحبة بين الخلق وحصول التكافل الاجتماعي فيه إعزاز للأمة وتقوية لجهتها الداخلية. وسيأتي مزيد من فوائد صلة الرحم إن شاء الله .
أما قطيعة الرحم فهي حرام باتفاق لقوله تعالى ((والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم اللعنة وهم سوء الدار)) الرعد ٢٥ وقال تعالى ((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)) محمد ٢٣ وفي حديث عائشة مرفوعا ((الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله ..)) (٢)

(١) أخرجه البخاري ١٠ / ٣٧٣ ومسلم ٤٧

(٢) البخاري ١٠ / ٥٩٨٩ مسلم ٢٥٥٥ واللفظ له

القران الكريم يوصي بصلة الرحم

قد جاءت آيات الكتاب العزيز بالحث على صلة الرحم قال تعالى ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى)) النساء ٣٦

وقال تعالى ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى)) النحل ٩٠

وقال سبحانه وتعالى ((وءات ذا القربى حقه)) الإسراء ٢٦

وقال تعالى ((فآت ذا القربى حقه ...)) الروم ٣٨

وقال سبحانه ((واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)) النساء ١

قال ابن كثير أي كما يقال ((أسألك بالله وبالرحم وقال الضحاك واتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به واتقوا الأرحام إن تقطعوها ولكن برّوها وصلوها)) قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن والضحاك والربيع وغير واحد (١)

وقال السعدي : ((وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها ليؤكد هذا الحق)) (٢)
وبين سبحانه أن صلة الأرحام من أسباب دخول الجنة فقال ((والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل)) الرعد ٢١

قال ابن كثير : ((من صلة الأرحام والإحسان إليهم)) (٣)
وأوضح القرآن أن الأرحام أولى ببعضهم قال تعالى ((وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين)) الأحزاب ٦
قال السعدي : ((وأولوا الأرحام أي الأقارب قربوا أو بعدوا بعضهم أول ببعض في كتاب الله أي في حكمه فيرث بعضهم بعضاً فهم أولى بالخلف والنصرة)) (٤)

(١) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٤٥٩ / ١ تفسير القرطبي ٥ / ٤

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١ / ١٦٣

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٥٢٨

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٥٩

القران الكريم يحذر من القطيعة

لقد حذر القران الكريم من قطيعة الرحم والاستخفاف بحقها فقال تعالى ((الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون)) البقرة ٢٧ فالمراد بالقطيعة هنا قيل : قطع الأرحام والأقارب كما فسره قتادة ورجحه ابن جرير وقيل : أعم من ذلك ، فكل ما أمر به بوصله وفعله فتركه قطيعة ، ولا شك أن الأرحام داخله في ذلك دخولاً أولياً . (١) بل جاءت الآيات الصريحة في أن قطيعة الرحم سبب للدخول في اللعنة والعذاب الشديد قال تعالى ((والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم اللعنة وهم سوء الدار)) الرعد ٢٥

قال السعدي ((لم يصلوا ما بينهم وبين ربهم بالإيمان والعمل الصالح ولا وصلوا الأرحام ولا أدوا الحقوق بل أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي والصد عن سبيل الله وابتغائها عوجاً أولئك هم اللعنة أي البعد والذم من الله وملائكته وعباده المؤمنين وهم سوء الدار ، وهي الجحيم بما فيها من العذاب الأليم . (٢) وقال تعالى ((فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)) محمد ٢٣

قال ابن كثير : ((وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً وعن قطع الأرحام خصوصاً . بل أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال (٣)

وقال عمر بن عبد العزيز يوصي ميمون بن مهران ولا تصادق قاطع رحم فان الله عز وجل لعنه في آيتين من كتابه تبارك وتعالى (١)

-
- (١) تفسير القران العظيم لابن كثير ١ / ٧٠ فتح القدر للشوكاني ٣ / ١٦٢
 - (٢) تيسير القران الكريم للرحمن للسعدي ص ٤١٧ ————— فتح القدير للشوكاني ٣ / ١١٣
 - (٣) تفسير القران العظيم لابن كثير ٤ / ١٩٢ فتح القدير للشوكاني ٤ / ٥٥
 - (٤) مساوي الأخلاق ومذمومها للخرائطي ١١٠ نضرة النعيم ١١ / ٥٣٣٦

قطوف من السنة في الأمر بصلة الرحم و النهي عن قطيعتها

الأحاديث النبوية التي تأمر بصلة الرحم و ترغّب فيها و تحذّر من القطيعة قد بلغت حد التواتر المعنوي ونستطيع أن نقسمها إلى أقسام ، و كل قسم يدخل تحت عنوان ، وهذا ما سنشرع فيه بإذن الله : -

الجزء من جنس العمل

فمن وصل الرحم وصله الله و من قطعها قطعه

وهذه الحقيقة يشير إليها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (أن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك و أقطع من قطعك قلت: بلى يا رب قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أقرؤا إن شئتم)) فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض و تقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله و أعمى أبصارهم)) محمد ٢٣ (١)

قال ابن حجر : مقصود هذا الكلام الإخبار بتأكيد أمر صلة الرحم و أنه تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره و أدخله في حمايته وإذا كان كذلك فجاء الله غير مخذول (٢)٠

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩٨٧ مع الفتح و مسلم ٢٥٥٤ و اللفظ له

(٢) فتح الباري ٤٣١/١٠

الرحمن والرحم وأسرار التسمية

إن التشابه في الاشتقاق بين اسم الرحمن والرحم له أسرار يؤكدتها النبي ﷺ كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((إن الرحم متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق(٢) اللهم صل من وصلني و اقطع من قطعتني فيقول الله تبارك و تعالى أنا الرحمن الرحيم و أني شققت للرحم من أسمى فمن وصلها وصلته و من نكثها نكثته(٣)) (٤)

فتأمل يا مسلم هذا المعنى العظيم لتعرف قدر الرحم و أهمية وصلها ، قال النووي : و المراد تعظيم شأنها و فضيلة واصلها و عظيم إثم قاطعها بعقوقهم لها .(٥)

صلة الرحم من علامات الإيمان

الإيمان قول و عمل ، وهو بضع و سبعون شعبة ، ومن الإيمان صلة الرحم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى عليه و سلم (من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليصل رحمه) متفق عليه(٦)

(١) بكر السين و سكون الجيم واصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة و المعنى أنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة فالقاطع لها منقطع عن رحمة الله . الفتح ٤٣٢/١٠ . وقال ابو عبيد : مشتبكة اشتباك الورق . الترغيب والترهيب ٩٥٥/٢

(٢) فصيح بليغ

(٣) النكت نقض العهد و المراد من قطعها .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٥٣ و حسنة المنذري في الترغيب و الترهيب و الألباني في تعليقه عليه ٩٥٥/٢ واصله في البخاري ٥٩٨٨

(٥) شرح مسلم ١١٣/١٦

(٦) أخرجه البخاري ٦١٣٨ و مسلم ٤٧

من أراد الوصول إلى الجنة فليصل رحمه

روى البخاري و مسلم عن أبي أيوب الأنصاري أن رجلا قال للنبي ﷺ أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال : (ماله ماله) وقال النبي صلى الله عليه و سلم (أرب ماله تعبد الله ولا تشرك به شيئا و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصل الرحم))(١)

وفي حديث عبد الله به سلام مرفوعاً ((يا أيها الناس أفشوا السلام و أطعموا الطعام و صلوا الأرحام و صلوا بالليل و الناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)) (٢)

وقطيعة الرحم من أسباب دخول النار فعن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ (لا يدخل الجنة قاطع) قال سفيان : أي قاطع رحم .

قال النووي : هذا الحديث يتأول تأويلين : أحدهما : حملة على من يستحل القطيعة بلا سبب و لا شبهة مع علمه بتحريمها فهذا كافر يخلد في النار ، و لا يدخل الجنة أبداً ، والثاني : لا يدخلها في أول الأمر مع السابقين ، بل يعاقب بتأخره القدر الذي يريد الله عز وجل .

- (١) أخرجه البخاري رقم ١٣٩٦ و مسلم برقم ١٤ و (أرب ماله) يعني حاجة له .
- (٢) أخرجه الترمذي برقم ٢٤٨٥ و ابن ماجه ٣٢٥١ و أحمد ٤٥/٥ و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٥٦٩
- (٣) أخرجه البخاري ٥٩٨٤ و مسلم ٢٥٥٦
- (٤) شرح النووي لمسلم ١١٣/١٦

صلة الأرحام تعمّر الديار ويزيد في الأعمار وهي سبب للرزق الدار والقطيعة بعكسه

كثيراً ما يطلب الإنسان الرزق بالأسباب المحسوسة ويغفل عن أسباب لا تقل أهمية عنها ومن تلك الأسباب الشرعية للرزق وطول العمر وكثرة الأهل صلة الرحم وليعلم أن العكس بالعكس فقطيعة الرحم تمحق البركة وتسد أبواب التوفيق كما ثبت عن أنس مرفوعاً (من سره ييسر له في رزقه و ينسأ له في أثره فليصل رحمه)) متفق عليه (١)

قال النووي : ينسأ يؤخر ، والأثر الأجل ، وبسط الرزق توسيعه و كثرته والبركة فيه ، وهذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات، و عمارة أوقاته بما ينفع في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك ، وقيل : إنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ، ونحو ذلك ، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون ، وقد علم الله سبحانه ما سيقع له من ذلك • (٢)

وفي حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى اله عليه و سلم ((صلة الرحم و حسن الجوار أو حسن الخلق يعمرن الديار ويزدن في الأعمار) (٣)

و في حديث أبي هريرة (تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثارة في المال منسأة في الأثر)) (٤)

(١) أخرجه البخاري ٥٩٨٦ و مسلم ٢٥٥٧

(٢) انظر شرح مسلم للنووي ١١٤/١٦ و فتح الباري ٤٣٠/١٠ و مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن

تيمية ٨ | ٥٤٠

(٣) أخرجه أحمد ١٥٩/١٦ و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥١٩

(٤) أخرجه الترمذي برقم ١٩٨٠ و صححه الألباني في صحيح الجامع

صلة الرحم سبب في قبول الأعمال و قطيعة الرحم سبب في عدم القبول

القرب من الله يناله من اختصه الله برحمته فليس كل عامل يصل وليس كل من طرق الباب دخل وكم من مريد للخير لم يبلغه وما ذلك إلا بسبب من قبل الإنسان نفسه وإلا فرحمة الله قريب من المحسنين ومن أسباب القبول عند الله صلة الرحم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ((إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع الرحم)) (١)

وقد جاء في الأدب المفرد أن أبا هريرة رضي الله عنه جاء عشيّة الخميس ليلة الجمعة فقال : أحرّج على كل قاطع رحم لما قام من عندنا فلم يقيم أحد حتى قالها ثلاثا فأتى فتى عمّة له قد صرمها — يعني تركها — منذ سنين فدخل عليها ، فقالت له : يا ابن أخي ما جاء بك ، قال سمعت أبا هريرة يقول : كذا و كذا ، فقالت : ارجع إليه فسأله لم قال ذلك ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول وذكر الحديث (٢)

فتأمل يا مسلم هذا المعنى ، ولعل ذلك لأن قاطع الرحم ، وقد قطع ما أمر الله به أن يوصل قطع الله عنه ثواب أعماله ، والجزاء من جنس العمل ، والله أعلم .

(١) أخرجه أحمد ٤٨٤/٢ وقال احمد يساند صحيح ٤٣/٢٠

(٢) ٩٨/١

الإحسان إلى الأقارب له أجران أجر معجل في الدنيا وآخر مدخر في الآخرة

عن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه و سلم (إن الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة) (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ((ليس شيء أطيع لله فيه أعجل ثواباً من صلة الرحم و ليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعه الرحم)) (٢)

ولهذا تأمل رحمك الله يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لأن أصل أخاً من أخواني بدرهم أحبُّ إليّ من أن أتصدق بمائة درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحبُّ إلى الله من أعتق رقبة . (٣)

وقال عطاء : لدرهم أضعه في قرابتي أحبُّ إلي من ألف أضعها في فاقة ، فقال له قاتل : يا أبا محمد وإن كان قرابتي مثلي في الغنى ، قال : وأن كان أغنى مني . (٤)

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما له في الآخرة من البغي وقطيعه الرحم) (٥)

-
-
- (١) أخرجه النسائي ٩٢/٥ الترمذي ٦٥٨ و حسنه وابن ماجه برقم ١٨٤٤ وقال الشيخ الارناؤوط في تحقيق
 - (٢) جامع الأصول ٤٩٣/٤ حسن .
 - (٣) أخرجه البيهقي ٦٢/١٠ و صحيح الألباني في صحيح الجامع ٩٥٠/٢
 - (٤) أحياء علوم الدين ٢٢٠/١
 - (٥) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ٦٢
 - (٦) أخرجه الترمذي ٢٥١١ و أبو داود ٤٩٠٢ و ابن ماجه ٤٢١١ و الحاكم ٣٥٦/٢ و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٩١٨

ليس الواصل بالمكافئ

يظن الكثير أن صلة الرحم لا بد لها من التواصل من جميع الأطراف، وهذا هو الواجب، ولكن إذا قطعت الرحم من جهة فلا يخول ذلك القطيعة من الجهة الأخرى، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمة وصلها)) (١) والمعنى: ليست حقيقة الواصل، ومن يعتد بصلته من يكافئ، بمثل فعله ولكنه يتفضل على صاحبه فهم ثلاث درجات مواصل وقاطع ومكافئ، فالواصل من يتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافئ الذي يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يتفضل عليه ولا يتفضل. وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قلت: يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال: (يا عقبة صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عن ظلمك) (٣)

(١) أخرجه البخاري برقم ٥٩٩١ تحت باب ليس الواصل بالمكافئ

(٢) فتح الباري ٤٣٧/١٠

(٣) أخرجه الحاكم ١٦١/٤ و صححه الألباني في تعليقه على الترغيب والترهيب ٩٥٧/٢

ماذا يفعل من أساء إليه أقرباؤه ؟

قد يتعرض الإنسان للإساءة من أقربائه وهذا يحصل كثيراً ، فقد رُوى أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابةً أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويستئثون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون عليّ فقال (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ) (١) ، ولا يزال معك من الله ظهير (٢) عليهم ما دمت على ذلك (٣) فتأمل أخي رعاك الباري : هذا التشبيه البليغ من سيد الفصحاء ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ، ولا شيء على هذا احسن ، بل يناهم الألم العظيم في قطيعته ، وإدخالهم الأذى عليه ، فمن يفرط في هذه الكنوز بعد أن سمعها ، ويتحمل الأذى من أجل الله ، فلا شك أنه الأفضل ولا يضيع ذلك عند الله (٤) .

(١) الرماد الحار

(٢) معين و دافع لأذاهم

(٣) أخرجه مسلم برقم ٢٥٥٨

(٤) شرح النووي لمسلم ١١٥/١٦

صلة الرحم و أمثلة تطبيقه

صلة الرحم من حميد الصفات ، ولذلك كان أولى الناس بما رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد كان أوصل الناس لرحمه في الجاهلية و الإسلام ، فتقول له خديجة رضي الله عنها في أول ليلة للوحي (كلا و الله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم)) (١)

فانظر أخي الكريم رحمك الله كيف أقسمت على أن الخزي لا يلحق من اتصف بمكارم الأخلاق ؟
ومنها بل أولها صلة الرحم .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم جهاراً غير سر (إن آل أبي بياض ليسوا بأوليائي ، إنما ولي الله وصالح المؤمنين ، ولكن لهم رحم أبليها ببلايلها ، يعني أصلها بصلتها)) (٢)
و تأمل في قصة يوسف وعفوه عن أخوته لترى مثلاً رائعاً في الحلم و صلة الرحم . (فبهذا هم اقتده)

(١) أخرجه البخاري برقم ٣ و أنظر فتح الباري ٣٣/١

(٢) أخرجه البخاري برقم ٥٩٩٠ ومسلم ٢١٥ و أنظر شرحه في فتح الباري ٤٣٥/١٠

آثار عن السلف في الحث على صلة الرحم

قال عمر **ؓ** : تعلموا أنسابكم ثم صلوا أرحامكم ، والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه شيء ، ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلية الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه .

وقال علي **ؓ** (لأن أصل أختاً من أخواني بدرهم أحبُّ إليّ من أن أتصدق بعشرين درهماً ، ولأن أصله بعشرين درهماً أحبُّ إليّ من أن أتصدق بمائة درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحبُّ إليّ من أن أعتق رقبة .
وتصدّق أبو طلحة رضي الله عنه ببستانه فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أرى أن تجعلها في الأقربين) فقسّمها أبو طلحة على أقاربه وبني عمه .

وكان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من أوصل الناس للرحم فلا يكاد يترك في بني تيم فقيراً إلا أرسل إليه ، ولا مديناً إلا قضى عنه ، ولا أيماً إلا زوجّه ، فلما مات طلحة ترك من الأموال شيئاً كثيراً ، وذلك من بركة صلة الرحم .

قال عمرو بن دينار (تعلمنا أنه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجراً من خطوة إلى ذي رحم)

وقال الشعبي : ما مات ذو قرابة لي وعليه دين إلا وقضيت عنه دينه .

حتى لا ينقطع الحب

وبعد أن رأينا مكانة صلة الرحم فنذكر هنا وصايا يعتمد على تحقيق هذا المطلب المهم ومن ذلك:

- ١) النظر في الأدلة الشرعية الواردة في صلة الرحم ، ومحاولة تطبيقها في الواقع.
 - ٢) التأمل في مكانة صلة الرحم ، وكونها مما اتفقت عليها الشرائع السماوية ، وهي من محاسن الدين الإسلامي ، وهي مكسبة للحمد ، مجلبة للشاء ، كما أنها سبب في المنعة والقوة والنعمة في داخل الأسر وخارجها.
 - ٣) النظر في آثار الصلة وعواقب القطيعة على النفس والبدن والدين والدنيا والمال والأهل والمقارنة بين ذلك.
 - ٤) الدعاء والاجتهاد فيه أن يوفق الله عبده لصلة الرحم ، وأن يجمع بين القلوب ويؤلف بينها ، فهذا مما لا يملكه إلا الله وحده قال تعالى (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)
 - ٥) الاتصاف بصفة الحلم فإنها طريق السيادة وكابينة القيادة ، ولا بد منها ؛ لأنه قد يبدو من الأقارب ما لا يبدو من غيرهم
- قال الشاعر:

وأن الذي بيني وبين بني أبي	وبين بني عمي لمختلف جداً
إذا قدحوا لي نار حرب بزندهم	قدحت لهم في كل مكرمة زنداً
وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم	وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
ولا أحمل الحقد القديم عليهم	وليس رئيس القوم من يحمل الحفداً
وأعطيهم مالي إذا كنت واجداً	وأن قلّ مالي لم أكلفهم رفداً

ويدخل في مضامين ذلك مقابلة الإساءة بالإحسان والعفو والصفح عن الزلات والهفوات وقبول الأعداء وترك العقاب ، ولعلّ من أنفع ما يقال في ذلك أن يتصف العاقل بالتغافل ، وليس الغبي بسيد في قومه ولكن سيد قومه المتغاي.

قال الإمام أحمد رحمه الله : ما أدر كنا طيب عيشنا إلا بالتغافل .

وقال ابن المبارك رحمه الله : ما استقصى كريم قط .

وقال عمر رضي الله عنه : إذا سمع أحدكم من أخيه كلمة فليطلب لها سبعين عذراً فإن لم يجد فليقل: لعل له عذراً لا أعلمه •

وقال ابن المبارك رحمه الله: المؤمن يبحث عن المعاذير ، والمنافق يبحث عن الزلات •
وتذكر أن الله وصف صاحب الخلق العظيم بقوله (عَرَفَ بعضه وأعرض عن بعض)
واعلم يا رعاك الله : أن الأحنف ساد قومه أربعين سنة بحلمه •

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

٦ - الاتصاف بصفة الكرم بالنفس والمال والجاه ، فالكرم محبوب عند الله وعند الناس ، وكل عيب فالكرم غطاؤه ، فيبذل لهم المال والجاه ويقوم بقضاء حوائجهم ويسعى في مصالحهم مع ترك المنة والأذى القولي والفعلية وليتذكر أن الإحسان إلى الأقارب فيه أجران أجر صلة الرحم وأجر الإحسان.
وهنا يجب التنبيه على ترك التكلف للأقارب ، والبساطة في ذلك ، وقديماً قالوا: من قلت كلفته دامت ألفته.

٧ - مراعاة آداب المخالطة ومن ذلك احترام مشاعر الناس وتقديرهم وإظهار البشاشة لهم وحسن استقبالهم وطرح الأحاديث التي تجلب المودة ومن ذلك أيضاً المزاح المنضبط فإن الرجل خفيف الظل حاضر الفكاهة تتهاذى إليه القلوب والمزاح يزيل وحر الصدور إلا إذا تجاوز الحدود فربما كان سبباً في القطيعة ، ومن آداب المخالطة الحذر من الجدال المدموم وكثرة الخصام فإنها قاطعة المودة ومكدرة الصفو .

٨ - الحرص على ما يجلب المودة ويقوي الألفة ومن ذلك الهدية وفي الحديث (تهادوا وتحابوا) فإنها تسل سخائم الصدور

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

ومن ذلك المشاركة في المناسبات السعيدة والأليمة فهذه المشاركة الوجدانية في الأفراح والأتراح لها أعظم الأثر في تقوية الأواصر وتحذيرها.

ومن الوسائل الناصحة والخبرة في ذلك الاجتماعات الدورية فلها أثر ساحر في تأليف القلوب بعد ضبطها بضوابط الشرع.

ومن ذلك إنشاء صناديق الأسر في المناسبات والتوازن للمساعدة والتعاون.

ومنه أيضاً وضع دليل للأقارب يحوي عناوينهم وأرقام هواتفهم الثابتة والحمولة وأماكن أعمالهم والاستفادة من رسائل الجوال التذكيرية فإنها وسيلة يغفل عنها الكثير.

ومن الوسائل التي لا بد لكل أسرة منها عقد مجلس لأهل الحل والعقد داخل الأسر لحل مشكلاتها وإصلاح ذات البين والتحرك في هذا المجال والبعاد عن كل أسباب الضغينة ومولدات الحقد، ومن ذلك العتاب وكثرة اللؤم والتناجي بين اثنين دون الثالث والهمز واللمز بقول أو فعل، وانتقاد الزوجة والأولاد بحضرة أبيهم دون مراعاة المشاعر وحقوقه الشرعية.

٩ - مراعاة النواحي المادية فلا بد من تقوية الوضع المادي بالطرق السليمة مثل قسمة الميراث دون تأخير أو مماطلة بحسب القواعد الشرعية من أسباب دوام الألفة بين الأخوة.

ومن ذلك الشراكة في التجارة والعقارات ومراعاة حق الشريك من الأمانة ونبد الخيانة والحرص على القلوب قبل الدراهم والدنانير فكم من أرحام قطعت بسبب حفنة مال أو قطعة أرض.

١٠ - مراعاة النواحي الاجتماعية فعند الزواج من الأقارب لابد من العلم بحساسية هذا الموضوع ومحاولة تربية الأسرة على مبدأ الاستقلالية والحفاظة على الأسرار العائلية وعدم إقحام الغير في المشكلات الزوجية قدر الإمكان.

وعند التجاور لابد من مراعاة حقوق الجار من غض البصر وكف الأذى وبذل الندى ولذا أوصى عمر رضي الله عنه فقال:

• مروا ذوي القربات أن يتزاورا ولا يتجاورا •

لأن التجاور يورث أحيانا التراع والشقاق وقطيعة الرحم حتى ولو حصل طلاق أو شجار فالواجب الحرص على الصلة قال تعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم)

دور طالب العلم داخل أسرته

- ١ - لطلبة العلم دور كبير في موضوع صلة الرحم لعلنا ننبيه إلى بعضه فمن ذلك:
 - ٢ - بيان أهمية صلة الرحم والتحذير من القطيعة في الخطب والمحاضرات والمناسبات.
 - ٣ - إعطاء القدوة الحسنة في ذلك وتخصيص أوقات لصلة الرحم.
 - ٤ - تقوية أواصر المحبة والتخطيط لعقد اجتماعات ولقاءات.
 - ٥ - القيام بمشروع دعوي داخل الأسر وأحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلطف ولين جانب كما قال تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) فدعوتهم إلى الهدى وتحذيرهم من أسباب الردى من أعظم ما تكون به الصلة.
 - ٦ - مشاركتهم بالمال والبدن والجاه في أفراحهم وأتراحهم.
 - ٧ - إحياء ما يسمّى بحفلات السمر العائلية والتي تتخللها المنوعات المنضبطة التي تجلب الفرح وتعطي كلاً ما يناسبه .
 - ٨ - ليعلم طالب العلم أنه إذا وجد الكفر والفسق تأكدت الصلة بالعظة والتذكير بكل الوسائل المتاحة فإن لم يجد معهم فينظر إلى المهجر بميزان المصلحة فإن كانت المصلحة في المهجر هجرهم وإن كانت لا مصلحة في المهجر استمرّ في صلتهم مع دوام التذكير والدعاء.
 - ٩ - قنطرة الاستفادة هي المحبة فليحرص طالب العلم قبل الأمر والنهي على تأليف القلوب وإزالة الشحنة من الصدور.
- هذا الدور لن يقوم به أفضل من طلبة العلم داخل أسرهم وهذا الإصلاح في الدين وذات البين لن تنزل له ملائكة من السماء فلماذا التأخر؟
- يجب على القبيلة والأسرة تجاه طلبة العلم فيها أن تنزلهم منزلة اللاتقة بهم وأن يحذّر جميع الأفراد من الحسد والتحقير وليتحمل طلبة العلم ما يدور من بعض الجهّال في ذلك.

أحاديث لم تصح في الباب

- ١ - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتنق الله وليصل رحمه.
- ٢ - عن درّة بنت أبي هب قالت: قلت: يا رسول الله من خير الناس قال: أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر.
- ٣ - عن ثوبان مرفوعاً ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول: اللهم أني بك فلا أقطع والأمانة تقول: اللهم أني بك فلا أخان والنعمة تقول: اللهم أني بك فلا أكفر.
- ٤ - عن علي رضي الله عنه مرفوعاً ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وأن تغفو عن ظلمك.
- ٥ - عن الأعمش قال: كان ابن مسعود جالساً بعد الصبح في حلقة فقال أنشد الله قاطع الرحم لما قام عنا فإن نريد أن ندعوا ربنا وإن أبواب السماء مرتجة دون قاطع الرحم.
- ٦ - حديث إن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم وفي لفظ إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم.
- ٧ - الأقربون أولى بالمعروف ، وهذا ليس بآية ولا حديث ، ولكن بلا شك أن معناه صحيح والله أعلم.

بعض المراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير
- ٣ - فتح القدير للشوكاني
- ٤ - تيسير الكريم الرحمن للسعدي
- ٥ - جامع الأصول ٤٩٠/٦
- ٦ - إحياء علوم الدين ١٩٤/٢
- ٧ - ترتيب أحاديث صحيح الجامع ٣٦٩/٢
- ٨ - مشكاة المصابيح ١٣٩٦/٣
- ٩ - الكبائر للذهبي ص ٤٧
- ١٠ - الموسوعة الكويتية ٨١/٣ ٣٥٨/٢٧
- ١١ - نضرة النعيم ٢٦١٤/٧ ٥٣٢٩/١١
- ١٢ - قطيعة الرحم للشيخ محمد الحمد
- ١٣ - الترغيب والترهيب للمنذري ٩٥٥/٢
- ١٤ - دليل الساتلين
- ١٥ - فتح الباري ٤٣١/١٠
- ١٦ - شرح مسلم للنووي ١١٣/١٦
- ١٧ - رياض الصالحين ص ١٣٣